

الفصل العشرون

[لمياء]

مضى علينا يومان في مراقبة مستمرة لجهاز الجاذبية.. لقد زدنا ولید بمنظار صغير يمكننا من مراقبة الموقع دون الحاجة للاقتراب منه كثيراً وكشف أنفسنا.. وفي كل مرة، كان اثنان منا يذهبان للمراقبة والبقاء هناك في موقع مخفي جيداً في الجبال لليلة كاملة والعودة في الصباح.. كانت بسمه في أغلب الأوقات تذهب معي أو مع أمجد، وفي أوقات أخرى تبقى مع من بقي منا في المخبأ متجنبه أدهم ما استطاعت وهو يتجنبها في الآن ذاته.. وأمجد الذي لاحظ ذلك لم يعلق على الموضوع بكلمة..

أنا، في ناحية أخرى، انشغلت بذكریات بسمه التي عادت دفعة واحدة كما حدث هذا لأمجد من قبل.. هل ستعود لي ذكرياتي في وقت قريب؟.. رغم أنني لم آخذ العقار مثل البقية، لكن أمجد قد استعاد ذكرياته قبل هروبنا، فلم يكن ذلك ناتجاً عن العقار.. فهل سيحصل لي المثل وأستعيد ذاكرتي في لحظة ما؟.. هل ستصيبني الصدمة ذاتها التي أصابت بسمه عندما تعود لي ذكرياتي وأكره اللحظة التي استعدتها فيها؟ أم أنني سأكتشف أنني جئت ظملاً لهذا الكويكب ولا ذنب لي في ما رأيته من لقطات سابقة؟.. بي لهفة وتوجس في الآن ذاته من تلك اللحظة التي سيتخلص عقلي فيها من الظلام المحيط به..

لم أحاول محادثة ولید بأمر العقار في وجود أمجد لئلا يفسد عليّ الأمر، وأنا متأكدة أنه سيفعل.. سأحاول محادثته عن هذا بعيداً عن مسامع أمجد وأطلب منه إحضار جرعة جديدة لي.. في الليلة الثالثة كنت مع أدهم نراقب الموقع والصمت التام يلفنا كالعادة إذ لا وجود لأي حياة حولنا يمكن أن يصدر عنها أي صوت.. ورغم الرياح التي تصدر صفيراً عند مرورها بين بعض الوديان والكهوف القريبة، إلا أن الصمت كان شبه تام دفعني لأكسره وأنا أقول لأدهم "هل أنت بخير يا أدهم؟"

نظر لي بتعجب وقال "لم هذا السؤال؟ أترينني جريحاً أو متعباً بشكل ما؟" قلت وأنا أتأمل ملامحه الهادئة "لا.. لكنني تعجبت من تبدل السريع منذ يومين.. بين مغادرتك للمخبأ وعودتك إليه بعد عدة ساعات بحال مختلفة.. ما الذي جرى في الساعات التي اختفيت فيها عنا؟" نظر لي بدهشة وتساؤل، فغمغمت "لقد.. رأيت كل شيء حدث بينك وبين بسمه.."

بدا شيء من الضيق على وجهه، فأسرعت أقول "أنا لم أتعمد التنصت عليكما، لكنني كنت عائدة

للمخبأ وصوتكما كان يصل إليّ بوضوح..”

سرعان ما رأيت أدهم ينبذ ضيقه جانباً وهو يقول ماطاً شفتيه “لا شيء.. أقنعت نفسي أنني لم أخسر الكثير حقاً.. لا فائدة من البكاء على ما ليس لي.. هذه ليست نهاية العالم لو لاحظت ذلك..” وابتسم مضيئاً “ثم إن الكآبة لا تناسبني.. مع حجمي هذا تجعلني الكآبة مرعباً أكثر..” دهشت لمنطقه العجيب، ثم اتسعت ابتسامتي وأنا أشعر بثقل في داخلي يزول.. وقلت مربتة على كتفه “صدقني لم تخسر شيئاً أبداً.. بل أنت تستحق أكثر من هذا.. وخيراً تفعل برمي كل شيء خلف ظهرك..”

ضحك معلقاً “تبدلين مرتاحة أكثر مني..”

فقلت “لأنك طيب حقاً.. وتسوؤني رؤيتك تتأذى بدون ذنب جنيته..”

التفت لما أمامه وهو يتنهد وكأنه يلغي ضيقاً لا يزال يستعمر قلبه، بينما ابتسمت براحة حقيقية.. حقاً شعرت براحة لرؤية أدهم يستعيد مرحة السابق.. كنت أشعر بضيق وحزن لمراى حزنه، ربما لأنني أرى ذاتي فيه.. لست أدري لماذا، لكنني أشعر أنني وأدهم متشابهان كثيراً، بخلاف الحجم طبعاً.. ربما لأن أشكالنا عادية جداً.. ربما لأننا انفعاليين جداً.. ربما لأننا لا نتمتع بتهديب ورقى كالآخرين.. ربما لأننا ما فتئنا منذ البداية نستفز بعضنا البعض دون سبب مفهوم.. لا أحمل نحوه اهتماماً خاصاً لو كنتم تتساءلون عن هذا.. لكنني شعرت به كصديق مقرب أكثر من البقية.. خاصة مع طبيته الواضحة وتصرفاته الصريحة وصفاء ضحكته.. لكن، أحقاً تخلق عن حبه لبسمة أم أنه نفاه لأقصى موقع ممكن من تلايف عقله؟..

سمعته يقول لي “يحسن بنا أن نعود.. تكاد الشمس تطلع من الأفق”

غمغمت وأنا أتناول المنظار من يده “أريد البقاء قليلاً بعد.. أعتقد أن وقت تبديل مناوبة الحراس قريب، وقد يفيدنا معرفة توقيته وما يحدث فيه بالضبط..”

نهض أدهم قائلاً “لكنني متعب حقاً.. لنعد ونترك هذا لوقت لاحق”

قلت وأنا أنشغل بالمراقبة “عد أنت ولا تخف عليّ.. سأعود بعد أن أعرف ما يدور عند تبديل المناوبة، ولا تخش شيئاً فهذه الصخرة فوقنا تشكل غطاء لي ولن يراني قائد المروحية أبداً عند مروره فوق هذه الجبال..”

زفر أدهم وقال “هذا شأنك.. لن تسلمي من تأنيب أمجد أبداً”

سمعنا خلفنا صوتاً يقول “أتحدثان عني من خلف ظهري؟”

التفتنا بدهشة لنرى أمجد يقترب منا، فسأله أدهم “ما الذي دفعك لقطع كل هذه المسافة الآن؟”

قال أمجد وهو يجلس قريباً مني ويتناول المنظار من يدي “أردت أن أتولى المراقبة في النهار.. عسى

أن نكتشف أمراً يُسهّل علينا خطتنا ولم نره سابقاً”
قلت بحماس “هذا كان رأيي أيضاً.. وقت المناوبة قريب ولا شك.. قد تكون تلك اللحظة هي التي
ننتظرها”

غمغم أدهم وهو يبتعد “لست بمزاج كافٍ للبقاء أكثر من هذا”
لم يعلق أحداً بكلمة ونحن نراقب الموقع الذي يبدو ساكناً، ثم تساءل أمجد “ألن تعودي معه؟”
هزرت رأسي نفيّاً، فأضاف “سيبقى وحيداً مع بسمّة.. ألن تصاب بدعر من ذلك؟”
تذكرت بقاء بسمّة وحيدة في المخبأ الآن، لكنني قلت بعد تفكير قليل “أنا واثقة أن أدهم لن يسيء
إليها بكلمة.. أن الألوان لتواجه مخاوفها قليلاً وتذكر أن أدهم ليس هو الرجل الذي هاجمها سابقاً”
ابتسم أمجد معلقاً “أنت قاسية القلب حقاً..”

لم أعقب بكلمة على قوله رغم أنني أود ذلك.. هل أنا قاسية حقاً؟ أليس هذا في مصلحتها هي
بالأساس؟.. عموماً، لاشيء يجبرني على مراقبتها ليل نهار لأضمن لها هناء البال..
تخلّى أمجد عن منظاره لي، فعدت لمراقبة الموقع فيما شعرت به يراقبني بصمت للحظات طالت، وقبل
أن أسأله عما به سمعته يقول “حمراء.. هل تكرهينني حقاً؟”
نظرت له بدهشة متسائلة، فقال وهو يتأمل ملامحي بحثاً عن جواب قد أحاول إخفاءه “أشعر بك كذلك
رغم أنني حاولت أن أبدي لك حبي بكل الأشكال الممكنة.. لكنك في كل مرة تتهربين مني وكأنني
ألاحقك بغية سلب روحك.. بل لو كنت أسعى خلف حياتك لما هربت مني بهذه الطريقة”
كانت عيناى تتسعان بحجم ذهولي الذي تزايد مع كل كلمة ألقاها أمامي بكل صراحة.. تعجبت من
بساطته في حديث مهم كهذا، وذهلت أكثر لمعرفة أنه يحبني حقاً.. يحبني أنا رغم كل عيوبي
ونواقصي وصفاتي التي لا أراها تستحق الإعجاب.. وهو ما كنت أستنكره وأنكره في كل موقف لي
معه..

رأيت يبتسم وهو يعلق على ذهول ملامحي “أنت تعلمين أنني أحبك فلا داعي لإنكار ذلك..”
أدّرت وجهي بعيداً محاولة تمالك تلك الارتجافة في أعماقي والتي لطالما كرهتها.. لست أدري لم أنا
مختلفة عن بقية الفتيات، لم لا أسعد بكلمات يلقيها شخص بمثل وسامة ولطف أمجد.. لست أدري لم
أتهرب من حبه هذا وأحاول إنكاره وتجاهله دائماً.. قلت بعد لحظة صمت وترقب من أمجد “لست
أدري لم تظن أنني أحاول التهرب منك.. في الواقع أنا مندهشة لمعرفة أنك تحبني.. لطالما كنت لطيفاً
مع الجميع ولم أحمل لطفك معاني أكبر من هذه..”

تنهد أمجد وهو يراني أتهرب من جديد، ثم همس وهو يمد يده ويمسك يدي “أرجوك.. لا داعي لكل
هذه الألعاب اللفظية والمتاهات التي ترمينني فيها في كل مرة.. كوني صريحة معي ولن ألومك على

ذلك أبداً، مهما كان ردك”

وما هو ردي؟ أنا نفسي لا أعرف بم أرد على حبه ذاك.. هل أرفضه؟ لكن قلبي لا يطاوعني.. هل أقبله؟ لكن عقلي يستنكر ذلك.. وأنا حائرة بين الاثنين..

فتحت فمي لأتفوه بأول لفظ يطرأ لي، لكن قاطعني في تلك اللحظة صوت المروحية الذي بدا على شيء من المبعدة.. تلقائياً أفلتني أمجد وهو يتناول المنظار قائلاً بانفعال “لقد وصلوا..”

شعرت براحة لهذه المقاطعة، فالحديث كله لم يكن يسرنني.. ولم يلبث الصوت أن تضخم والمروحية تقترب حتى عبرت قريباً من موقعنا وصوتها يهزّ الصخور حولنا مما سبب لي صداعاً بعد الليلة التي قضيتها مستيقظة.. ولما شاهدناها تتجه لموقع جهاز الجاذبية أسرع أمجد يراقب الوضع باستخدام المنظار الذي لم نكن نملك غيره..

رأى المروحية تهبط خارج السور المحيط بالجهاز، وربضت في موقعها دون أن تكف مروحياتها عن الدوران وإن تباطأت وهي تدفع الهواء بقوة محرّكة مساحة واسعة من العشب تحتها.. ومنها، خرج ستة حراس هم المسؤولون عن حراسة الموقع، وركضوا بظهور محنية حتى ابتعدوا عن المروحية واقتربوا من بوابة السور.. وقرب البوابة، كان الحراس السابقين قد وقفوا متأهبين لمبادلة المواقع بعد ليلة طويلة قضوها في حراسة الجهاز..

لست أدري ما يخيف المؤسسة لتحرس الجهاز بهذا الحرص.. الكويكب كله ملك لها، ومن يتمكن من الفرار من السجناء يبذل جهده للتسلل لسفينة الفضاء ولا يفكر بهذا الموقع بتاتاً ناهيك عن علمه به.. أهم يخشون من محاولات تأتي من الفضاء لتدمير الجهاز؟ لست أدري..

بعد أن راقبنا العملية كلها، وبعد أن رأينا المروحية ترتفع بحملها وتعود أدراجها لموقعها السابق في المباني الإدارية، نهضت قائلة “هذا يكفيني.. سأعود للمخبأ لأنال قسطاً من الراحة فالصداع يكاد يقتلني..”

نظر لي أمجد بقلق لم أخطئه، ورأيت شيئاً من الإحباط في ثناياه، لكنه قال بهدوء المعتاد “يحسن أن تفعل ذلك، وكوني حذرة.. أنا سأبقى حتى انتهاء النهار وعودة أدهم ليتولى المراقبة من جديد..” لم أعترض بكلمة وأنا أبتعد وأمجد يشيعني بنظراته.. لكني لم أبتعد كثيراً وأنا أشعر بالصداع يتزايد في رأسي ويتحول لنبض قوي.. فقبضت رأسي وأنا أقف بشكل دهش له أمجد وهو يسألني “هل كل شيء على ما يرام؟..”

جلست أرضاً فجأة بعدما اشتد الألم في رأسي بشكل فاض بي.. فاقترب أمجد مني وركع قربي ممسكاً كتفي وهو يتسأل “حمراء.. ماذا ألم بك؟”

كنت مغمضة عيني بقوة، وهمست بصوت ضعيف “تلك الومضات.. إنها مؤلمة..”

فقال لي بقلق شديد "هل تتزايد؟ هل تؤلك كثيراً؟.. حمراء"

لم أستطيع قول كلمة وأنا أشعر بوعيي ينتقل من الواقع الذي أنا فيه، إلى الومضات التي دفعت بذكرياتي من مكان مجهول لتغمر وعيي كله دون جهد.. ومن مكان ما أسمع هتاف أمجد المتباعد وهو يصيح "حمراء... حمراء..."

ورغماً عني، شعرت بتداخل صوته مع ذكرياتي.. حتى لم أعد أستطيع التفريق بينهما..

"..... لاء لاء لاء هل تسمعينني؟"

نظرتُ للوجه الذي أراه قريباً مني، وابتسمت بعذوبة قائلة "طبعاً أسمعك.. ومن يمكنه أن يشغلني عنك يا حبيبي؟"

هل تبدى شيء من الضيق على وجهه الوسيم؟ لأبد أنني واهمة.. فأمجد يحبني حقاً.. يحبني كثيراً كما أخبرني مرات ومرات عديدة.. نظرت لوجهه الحبيب، وتأملت ملامحه واضحة الوسامة، وشعره البني ذو الأطراف الشقراء وابتسامتي تتسع دون أن أحاول إخفاء إعجابي الواضح.. كنا قد التقينا في مطعم هاديء مفتوح، وإن فضل أمجد الجلوس في موقع منعزل بعيد عن الآخرين كعادته..

عدلت خصلات شعري الطويل والذي طالما كان مثار إعجاب أمجد بلونه الناري، عندما لاحظت تقطية في وجهه الحبيب.. فتساءلت متعجبة وأنا أتأمل ملامحه "ما الذي رسم هذه التقطية الغريبة على جبينك يا عزيزي؟ هل سمعت أخباراً سيئة عن عمك المفقود؟"

أجاب مشيحاً "أجل.. لقد علمت أين هو الآن.. لكنني لا أستطيع الوصول إليه بأي حال"

قلت بتعجب "لماذا؟ ما الذي حدث له؟"

صمت قليلاً قبل أن يقول "لقد تم ترحيله للكويكب العاشر"

اتسعت عيناى بصدمة وأنا أهتف "ماذا؟ هذا يعني أنه ارتكب جرماً أدى للحكم عليه بالسجن المؤبد..

أأنت واثق من هذا الخبر؟"

قال بضيق "واثق طبعاً وإلا ما أخبرتك به.."

غمرتني الدهشة، فتساءلت "ماذا تعني؟"

صمت بشكل بدا لي أنه يدرس كلماته جيداً قبل أن يلقيها أمامي قائلاً "أريد مساعدتك.. أريد التأكد من الخبر والبحث عن عمي.."

قلت بدهشة "لكن ما الجرم الذي ارتكبه؟"

قال بعصبية "عمي بري.."

دهشت أكثر من عصبية الغريبة عليه، ثم سمعته يضيف "أنا واثق أنه بري.. لقد ألبس التهمة زوراً، وذلك لأنه اكتشف أشياء تخص المؤسسة أثناء عمله معها.. لقد أبلغني بذلك بشكل مبهم سابقاً، ولكنه اختفى بعدها دون إنذار.. الآن بعد أن تأكدت أنه في الكويكب العاشر، أنا موقن أنه متهم زوراً وبهتاناً.. لكنني لا أملك الدليل على ذلك بعد.."

فقلت مشفقة "أنا معك يا عزيزي.. هذه أيام عصيبة بالنسبة لك، لكنني لن أتخلى عنك حقاً.."

نظر لي بطرف عينه مغمماً "حقاً؟"

بدا سؤاله بالنسبة لي عجباً، لكنني قلت بحرارة "طبعاً أنا معك في كل الأحوال.. بودي لو قدمت لك أي مساعدة.. لكنني...."

قاطعني أمجد بحزم "يمكنك ذلك.. وأتمنى أن تساعدني بما لا يقدر عليه غيرك.."

فقلت بلهفة "أخبرني بما تريده.. وأنا لن أتوانى عن تقديمه لك.."

نظر حوله للحظات بصمت، ثم قال لي بهدوء "هناك بعض الملفات التي أحتاجها من المؤسسة لأثبت براءة عمي.. ولن يستطيع أحد تسليمي إياها إلا أنت"

اتسعت عيناى دهشة وقلقاً.. فرغم عملي في المؤسسة، إلا أن هذا كان آخر ما توقعت أن يطلبه مني.. بعد تردد قصير ابتسمت له وأنا أقول "عزيزي.. أنت تعرف أن هذا مستحيل.. أنا لا أملك ترخيصاً بالاطلاع على الملفات في المؤسسة بتاتاً.. وإن فعلت ما يخالف قوانين المؤسسة فهذا سيجذب الانتباه إليّ وسأنال عقوبة ولا شك"

فقطب أمجد قائلاً "أتمتعين عن مساعدتي؟"

بدا الغضب في عينيه.. رباه.. لا أحب رؤيته غاضباً.. لا أحب رؤية وجهه الوسيم إلا مبتسماً سعيداً.. ولكن ما يطلبه مستحيل..

مددت يدي وأمسكت يده وأنا أقول "هل ستكون سعيداً بتوريطي في مشاكل مع المؤسسة؟ ألن تقلق على مصيري لو حدث ذلك؟"

قال بلهجة بدت لي قاسية "أهذا كل ما يهتمك؟ لو اكتشفوا أمرك فلن يتجاوز الأمر طردك.. لكن ألا يهتمك معرفة ما حدث لعمي؟ ألا يهتمك معرفة مصير العشرات ممن هم على شاكلته؟ أي أنانية تملكينها؟"

تراجعت بقلق.. أنانية؟ أهذا ما يراني عليه؟ همست بضعف "لكن.. هذا شيء لا طاقة لي به.. يمكنني.... يمكنني أن أعرفك إلى أحد زملائي.. اشرح له وضع عمك.. وأنا واثقة أنه سيقدم لك كل

مساعدة ممكنة.. لكن أنا لا أقدر على ذلك”

رمانى بنظرة قتلتنى قتلاً.. فارتجف صوتي وأنا أضيف “سامحني يا أمجد..”

فقال بقسوة “لم أتوقعك ضعيفة لهذه الدرجة.. يبدو أنني أخطأت الاختيار..”

ونفض مغادراً دون أن يلتفت خلفه.. لكنني كنت أرتجف خوفاً.. وهلعاً.. ويأساً.. هل سيتخلى عني؟ هل سيكرهني؟.. لا.. لن أطيق ذلك أبداً.. لن أطيق أن يغضب مني.. لن أطيق أن يبتعد عني.. لذلك، لم أملك إلا أن أركض خلفه.. إلا أن أتمسك بيده.. علّه يسامحني.. علّه ينظر لي بنظرات الحب التي اعتدتها منه.. علّه يعود لي كما كان..

“إنه أنت؟”

نظرت لأمجد الراكع قربي بعينين متسعيتين مصدومتين.. وهو يبادلني نظرات الدهشة.. ثم بدا أنه أدرك ما قصدته، فتبدلت الدهشة في عينيه بحسرة واضحة قبل أن يخفض بصره بصمت.. يبدو أنه أدرك الأمر.. بالتأكيد أدرك استعادي لذكرياتتي معه.. لكن لم الحسرة؟.. لم الحسرة وهو المجرم الرئيسي في حياتي التي أتمنى لو لم أذكر منها حرفاً؟.. قلت مرة أخرى وكأني أستوثق الأمر “هو أنت حقاً؟” جاء صوتي مرتجفاً رغماً عني.. مرة أخرى أبدو ضعيفة كما أكره.. الآن أدركت لماذا أكره الضعف.. الآن أدركت لماذا أريد أن أغدو قوية، أن أعتمد على نفسي، أن أتغير.. الآن أدركت لماذا لا أريد الاعتماد على أحد.. وكل هذا بفضلك أنت يا من جعلتني أكره نفسي.. غمغم أمجد بصوت بدا حزيناً “لياء....”

انتفضت وأنا أترجع مبتعدة عن يده التي حاول لمسي بها.. وفتفت بحدة “أنا حمراء.. لا تحاول مناداتي بذلك الاسم أبداً.. بل لا تحاول مناداتي أبداً..” قال بضيق شديد “اسمعيني يا حمراء.. أنا.....”

فتفت بغضب “أنت ماذا؟ أنت حطمتني.. أسعيد أنت بهذا؟ أسعيد أنت برؤية إلام وصل الحال بالفتاة التي كرهتها والتي خدعتها للحصول على ما تريده؟ لو لم تضغط عليّ، لما حاولت نبش ملفات المؤسسة، ولما وصلت لما أنا فيه الآن.. ما الذي تريده مني بعد؟”

تبدى الحزن في عينيه وهو ينظر لي صامتاً.. فقلت بلهجة قاسية “الآن أدركت لماذا كنت أحاول الهرب منك طوال الوقت.. لأنني أثق في أعماقي أن حديثك كله زائف.. لم تصدق معي مرة في حياتك.. وأغلب

الظن أنك لم تفقد ذاكرتك بل كنت تخدعني طوال الوقت.. أكانت تلك أيضاً كذبة من كذباتك؟”
قال بضيق “بل فقدت ذكرياتي حقاً.. وهذا ما أحمد الله عليه.. لقد كنت وغداً.. عاملتك كوغد.. لكنني وقد
فقدت ذاكرتي فقد تسنى لي أن أرى حقيقتك.. وقعت في حبك صدقاً.. أتمنى لو أنني لم أستمع
ذاكرتي... أتمنى لو لم تستعيديها أنت..”

وأمسك يديّ الاثنتين بيديه غصباً عني وهو يهمس “لقد واثتنا فرصة نادرة لأن نبدأ من جديد.. نبدأ
من الصفر.. نتعرف على بعض بدون أحقاد سابقة.. نحب بعضنا البعض بدون ذكريات بغیضة.. وهذا
ما حدث.. فلا تجعلني الذكريات السيئة تغطي على السعيدة منها”

قلت بصوت مرتجف غضباً “سعيدة؟ لست متأكدة من ذلك.. أي سعادة تحملها ذكرياتي معك وأنا في
هذا المكان وهذه الظروف التي سببتها لي أنت؟ استعادتني لذكرياتي أفضل شيء حدث لي، لأنه بين
لي من أنت حقاً ومن أكون بالنسبة لك.. فكيف تريدني أن أتغاضى عن كل هذا؟”

قال أمجد بشيء من الرجاء “أخبرتك أنني كنت وغداً.. لكن كانت لي أسبابي الخاصة.. ألن
تسامحيني أبداً؟ ألن تنظري لمشاعري الآن تجاهك وتغفري ما سبق؟”

قلت بكره شديد “أغفر لك؟ أظنني ضعيفة لهذه الدرجة؟ انس الأمر.. انس الفتاة التي اتهمتها
بالضعف والغباء.. انس الفتاة التي وصفتها بأبشع الأوصاف.. فهي قد ماتت.. ومن تراها الآن، تملك
من القوة لرفضك كما رفضتها أول مرة”

ودفعت يده بعيداً وأنا أقف وأبتعد عنه بخطوات غاضبة.. لم أحتج لألقي نظرة عليه لأدرك أنه لم يتحرك
من مكانه.. أمصدوم هو؟ يحق له أن يصدم.. أظنني سأبقى تلك الفتاة الخائفة الضعيفة التي تركض
خلفه باكية؟ أظنني سأنتظره بلهفة متى قرر أنه سيستبقيني لفترة أطول حتى يملّ من خنوعي
ويرميني من جديد؟ لا.. قطعاً لا.. حمراء لن تفعل ذلك.. حمراء أقوى من ذلك.. وسيبقى..

جلست في موقع متطرف، دون أن أجد في نفسي الرغبة بالعودة للمخبأ، وحاولت إقصاء ذكرياتي مع
أمجد جانباً.. لقد عادت لي ذكرياتي.. عادت مع ما تحمله من صدمات بخلاف صدمتي بأمجد.. هناك
أجزاء أهم مما فعله أمجد بي، وعليّ تذكرها والاستيثاق منها جيداً.. هناك تلك الحادثة التي حدثت
في غرفة المكتب تلك.. جثة الرجل الأشيب.. والمسدس في يدي.. هناك حادثة تسلي في تلك الحديقة
وانقضاض الكلب على ساقي ثم الضربة التي تلقيتها.. هناك الاستجواب الذي أجري لي، والمبنى ذو
الساحة الذي نقلت له.. أكان ذلك سجنًا؟ إذن فهذا كان بعد حادثة المكتب.. ربا.. هناك الكثير مما

عليّ استجماعه.. وكلها ذكريات لا تبشر بخير..

عضضت إصبعي وأنا غارقة في التفكير.. هل أنا قاتلة؟ هل قتلت ذلك الرجل؟ مع ما أتذكره من تصرفي مع أمجد، فشخصيتي كانت ضعيفة لا يمكنها القيام بتصرف جريء وحاسم.. فما الذي حدث؟ ولماذا لا أذكر شيئاً مما جرى قبل تلك الحادثة؟ بل لماذا لا أذكر اللحظة التي ضغطت فيها يدي على الزناد؟ لابد أنها كانت لحظة مأساوية ولا يمكن أن تغيب عن ذاكرتي بتلك السهولة.. بدأت الذكريات تعود لي وتتجمع كما نقوم بتجميع قصاصات صورة ممزقة.. وشيئاً فشيئاً تذكرت كل ما حدث لي، في تلك الليلة وقبلها.. أدركت ما حدث فعلاً، وأدركت كم كنت محقة عندما شعرت أنني بريئة من هذا الحكم الظالم الذي حكموا به عليّ..

ورغم براءتي، إلا أنني شعرت بضيق شديد من كل ما تذكرته.. ووددت لو أنني كنت واهمة.. لو أنني لم أكن حقاً بتلك الشخصية الضعيفة التي كرهتها..

زفرت بضيق شديد ونهضت لأعود للمخبأ بصمت.. وهناك، رأيت بسمة تجلس عند المدخل تفرك يديها بقلق شديد، لكنني تجاهلتها ودلفت للمخبأ لأرتمي جانباً وأنا أشعر بحاجة ملحة للنوم.. بحاجة لإيقاف سيل الأفكار المتدافعة في عقلي..

عندما نهضت قرب المغيب، رأيت أمجد يجلس في جانب المخبأ ونظراته إليّ لا تخلو من مرارة واضحة.. لكنني تجاهلته وأنا أغسل وجهي ببعض الماء، ثم أتناول بعض الطعام القليل الذي نملكة، والذي لا يتعدى بعض الموز وعدد من الفواكة التي وجدناها في مواقع متفرقة من الغابة..

شاهدت أدهم ينهض قائلاً "سأذهب لمراقبة الموقع الليلة.."

سارعت لأنهض وأرافقه، فلم تكن بي رغبة للبقاء في ذات الموقع مع ذلك الرجل، لكنني سمعته يقول "لا داعي لهذا بعد الآن.."

نظر له أدهم بتعجب، فسحب أمجد نفساً عميقاً قبل أن يقول "يجب أن نضع خطتنا الليلة ونحاول تنفيذها في أقرب وقت ممكن.. لقد تأخرنا بما فيه الكفاية.."

رغم أن خبراً مثل هذا يسعدني عادة، إلا أنني ضقت باضطراري البقاء هنا، لذلك عدت لموقعي السابق ورميت جسدي على الأرض وأنا أزفر عاقدة ذراعي على صدري ومتطلعة لسقف المخبأ.. لم أنو الانضمام إليهما أثناء التخطيط للعملية.. فليفعلا ما يريدانه، وإن أرادا معاونتي فلن أتردد في ذلك.. أهم ما في الأمر ألا أضطر للجلوس مع ذاك الرجل..
